

الفصل الثاني

وإذا كان هذا التفاوت اللغوي يمثل الفارق الأساسي بين النصين، فهناك فارق آخر لا يقل في أهميته ونصوعه، هو النظام الموسيقي الثرى المتنوع الذى اجتلبه الفن الجديد فالموشح [هو أول ثورة حققها الشعر العربى فى إثارة الإيقاع الخفيف الذى يقرب الشقة بين الشعر والنثر، فأضعف من أجل ذلك العلاقات الإعرابية كثيراً، ذلك أننا نقول حقاً أن الموشح معرب، ولكن الإسكان بالوقف فى التجزئات القصيرة، واختيار الألفاظ التى لا تظهر حركات الإعراب فى أواخرها أمران يجعلان العلاقة الإعرابية ضعيفة، ويحيلان الموشح إلى مستوى قريب من مستوى الكلام الدارج] علاوة على هذا التنوع البنائى بين أجزاء الموشحة وتزاوج الأصوات المتباينة حتى تصل بنا كل هذا المعطيات معاً إلى أقصى درجات الإمتاع الغنائى الذى تصحبه نكهة شديدة الاختلاف، تنسجم مع خصوصية الحياة المرفهة التى نشأت فيها الموشحة.

(٣)

الموشحة من خلال هذا المنطق، ومن خلال هذه الخصوصية ثورة فنية لغوية وموسيقية هزت أعطاف تاريخنا الأدبى والشعرى، وإذا كان [ابن عبدربه] و [الرمادى] بعدهما شاعرين كبيرين قد تحولوا إلى فنون التوشيح فى هذا دلالة شديدة الوضوح على مدى الحاجة إلى هذه الثورة الفنية العظيمة التى غيرت وجه الإبداع الشعرى وأعطته دفقة جمالية عميقة وواسعة التأثير.

وإذا كان ناقدنا قد وصف - بداية - قسامات هذه الثورة وطبيعتها اللغوية من خلال تعدد المستويات اللغوية ودخول العامية والأعجمية دون شرط إلى نص الموشحة فقد وصف ميزة هذه الثورة الفنية فى الموشحة موسيقياً عندما تحدث عن ثلاثة مبادئ كبرى :

الأول : الاعتماد على التفعيلة كوحدة للوزن بدلاً من البحر، وكم يخطئ هؤلاء الذين يريدون أن يمارسوا مقارنة دقيقة بين الموشحة والقصيدة، فيقصون زوائد الموشحات، ولا يخضعونها للفحص والدرس، ويبتعدون بذلك عن الجوهر